16 em Année No. 801

Lundi — 8 — 11 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٨٠١ «القاهرة فى يوم الاثنين ٧ محرم سنة ١٣٦٨ — ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٨» السنة السادسة عشرة

أسرة طيبـــة

كنا فى سنة ١٩٢٠ نسكن حى غمرة فى شمال القاهرة ؛ وكان يساكننا فى العمارة التى نحن فيها أسر مختلفة الجنس والدين والطبقة تعيش كل أسرة منها فى انعزال عن الأخرى فلا يتلاقى الجيران إلا على السلم أو لدى الباب . وربما انى الجار جاره فى بعض الطريق فلا يعرفه ، إلا إذا كان ممن يعلق شخصه بالذهن لسمة تميزه من سائر الناس كحسن يغترق البصر ، أو قبح يسترعى النظر ، أو شذوذ يشغل البال ... من هؤلاء الذين يدخلون فى هذا الاستثناء المعلم فهمى رزق أستاذ الدروس الخصوصية فى حى (الظاهر) ، ومدرس الدين والعربية فى مدرسة (التوفيق) ، فلا تجد أحداً من سكان العمارة ولا من قطان الحى يفكره إذا رآه ، أو لا يذكره إذا عرفه ! كان يسكن الشقة المقابلة لشقتنا ، وكانت هذه الشقة لا تفتح فى اليوم كله إلا أربع مرات : مرتين حين يغدو هو وأخوه الأصغر فى الصباح ، ومرتين حين يروحان فى المساء ، ثم لا يدرى غير الله أتغلق بعدهما على أم أو زوج أو أخت أو خادم . لا يستطيع بشر أن يعرف ذلك ، لا بالعين لأنه لا يرى إنساناً فى نافذة ، ولا بالأذن لأنه لا يسمع صوتاً فى غرفة . أما الشذوذ الذى يغرى به الطرف ويجمع له البال فهو فى شكله العجيب : كان مفرط القصر واسع البطن دقيق الأطراف أوقص العنق مخروط الوجه أخوص العين أكزم الأنف أهرت الشدقين غليظ الشارب والحاجبين . ومالى أطيل عليك الوصف ، وأنت تستطيع أن تخفف مؤونته على قلمى إذا تصورت كرة أرضية من الخشب أو من غيره قطرها متران ، وُضع فوق قطبها الأعلى وجه عليه طربوش ، وتحت قطبها الأسفل قدمان فيهما حذاء ، ثم تدلى من الجانب الأيمن ذراع قصيرة فى آخرها مذبة عاج ، ومن الجانب الأيسر ذراع أخرى فى طرفها جريدة (الوطن) ، ثم اكتسى الظهر والذراعان جاكتة كحلاء ، واكتسى البطن والساقان بنطلوناً أبيض ؛ فإذا تخيلت بعد ذلك هذه الكرة تمشى فتدب فى البطء دبيب السلحفاة ، وتخطو فى السرعة خطو الأوزة ، اجتمعت فى ذهنك صورة مقاربة للمعلم فهمى حينما رأيته لأول مرة يتدحرج هابطاً فى السلم ؛ وكان قد علم من قبل أن جاره مدرس الأدب فى الإعدادية الثانوية ، وناقل آلام فرتر هذا العام إلى العربية ، فلما أبصرنى ساعداً حيانى وعرفنى بنفسه ، ثم سألنى أن يجلس إلىّ فى القهوة قليلا ليعرض علىّ مسائل فى الإعراب له فيها رأى . فقلت له : ولماذا تجلس فى القهوة وبين بيتى وبينك خطوتان إذا شئت خطوتهما إليك فى أى وقت تحدده . فقال : أفضل أن أزورك فى عشية الغد .

وفى الجلسة الأولى جرى بينى وبينه حديث فى السياسة ونقاش فى النحو تبينت من خلالها أن الرجل طيب القلب ، وآفة الطيبة أنها تصاب أحياناً بالغفلة فتوقع صاحبها فى الزهو وتورطه فى الدعوى ؛ فهو يفخر بأنه خطأ قول الشنقيطى فى

اللغة ، وزيف رأى اليازجي في النقد ؟ ويدعي أن مصطفى كامل كان يستشيره في خطبه قبل أن تلقى ؛ وأن سعد باشا كان يسترشده في بياناته قبل أن تنشر .

وفي الجلسات الأخر علمت أن الرجل لم يتم التعليم الابتدائي ، وأنه بحث عن مرتزق لا يضر فيه الجهل فلم يجد غير التعليم والصحافة ، فاختار التعليم في المدارس الابتدائية ، وتخصص في تدريس اللغة العربية ، فكان يعلمها مشاهرة في المدرسة بجنيه ، وفي البيت ريال . ومن هذا المال اليسير ينفق على كسوته وقهوته وتبغه ، ثم يعتمد فيما جاوز ذلك على مرتب أخيه ، وهو موظف بالابتدائية في وزارة المالية ، وعلى تدبير أخته ، وهي تخيط في بيتها لبعض البيوت التجارية . وهو وهذا الأخ وهذه الأخت ، هم الأقانيم الثلاثة التي تتألف منها هذه الأسرة المسيحية الطيبة ؛ ففهمي هو الأب ، وشحاته هو الابن ، وعايدة هي روح القدس ! ثلاثة أرباب وثلاثة عبيد ، كل منهم لأخويه إلـه بالاحترام وعبد بالحب . وثلاثتهم يعيشون على الإيثار والتضحية ؛ فالأخ الكبير قد نيف على الأربعين ولا يريد أن يتزوج لأن أخته لا تزال آنسة ! والأخ الصغير قد أربى على الخامسة والثلاثين ولا يبغي الزواج لأن أخاه لا يزال عزباً ، والأخت قد هدفت للسادسة والعشرين ، وهي تدفع الخطاب عن يدها لأنها لا تحب أن تترك أخويها عزبين .

وكل أخ يؤثر أخويه على نفسه ؛ فالمعلم فهمي يحنو على عايدة وشحاته حنو الوالد الحدب : يقوم عنهما بشؤون البيت مع الناس ، ويجلب لها حاجة المطبخ من السوق ، ويقبل مُكرهاً أن يخصه أخواه ببعض المال لأنه بكر الأبوين ومظهر الأسرة

وشحاته افندي يؤدي مرتبه أول كل شهر إلى أخته فلا يأخذ منه إلا شهرية الحلاق . وماذا يصنع بالنقود ؟ إنه لا يركب الترام ، لأن له قدمين قويتين تحملانه إلى الديوان ثم إلى البيت ، وإنه لا يشتري الطعام ، لأنه يأخذ فطوره معه كل صباح : رغيفاً في منديل ، وطعمية في علبة ، أو ملوخية في قارورة ... فإذا رجع من عمله ، تولى كنس الغرف ونفض الأثاث وغسل الآنية . ثم يجلس بعد ذلك إلى أخته فيدير لها آلة الخياطة ، أو يرفه عنها بأحاديث الدينة ، أو يذهب إلى التجار بالمخيط ليعود من عندهم بالقماش .

أما الآنسة عايدة فتُشفل على المزين إشغال الأم العطوف : تدبر لها المنزل ، فتطهى وتغسل وتكوى ؛ وتدبر منهما الجسم ، فتقي وتعالج وتمرض ؛ ثم لا تكلفها بعد لباس البيت إلا فستاناً بسيطاً كل عام تذهب به أيام الآحاد إلى القداس .

وكان مرض الواحد مرض الثلاثة ، إذا شكا أحدهم علة شكا الآخران ألمها معه . وقد حرص المعلم فهمي على أن يقيس حرارة أخويه إذا لحظ عليهما فتوراً أو سمع منهما شكوى . وفي ذات ليلة من ليالي الشتاء طرق علي الباب في أخريات الليل ، فانتبهت فزعاً وفتحت فإذا هو ينتفض انتفاض المحموم وينشج نشيج الطفل فقلت له : خير يا صديقي ، ما الذي يبكيك ؟ فقال : أختي في نزاع الروح ؛ وإن حرارتها ثلاث وأربعون درجة وقد بعثت أخي في طلب الطبيب القريب ؛ فلما أخبره أن حرارتها ثلاث وأربعون درجة أغلق الباب في وجهه وهو يصيح : اذهب يا مجنون إلى الحانوتي ولا تضع وقتك !

قال هذا المعلم فهمي وهو يجذب يدي حتى دخل بي غرفة المريضة ، فوجدتها راقدة على سريرها العالي ، لحافها دائر على خصرها ، وبداها مشبوكتان على صدرها ، ونفسها يتردد هادئاً كنفس الطفل ، ووجهها يشرق نديا كوجه الصبح . وكان على مقربة من سريرها منضدة عليها مصباح كبير من طراز المصابيح التي كانت تضيء الصواوين في الأعراس والمآتم قبل أن تعم الكهرباء ، فلما وقفت إلى جانب سريرها جسست يدها ومسست جبينها وجدت حرارتها توشك أن تكون طبيعية ؛ ولكن أخاها أراني الميزان فوجدت زئبقه على الآخر . فنفضت الميزان ووضعته في فم المريضة المستلقية ثم قرأته فإذا هو سبع وثلاثون درجة ونصف ! فلما نطقت بالرقم دبت الحياة في عايدة ففتحت عينيها ، وعاد الهدوء إلى فهمي فكف دمعه ، وأخذ شحاتة الدهش ففغر فاه ، وسرى النشاط من الغرفة إلى سائر البيت ففقزت من تحت الكنبة أرنب ، وقافت من فوق المائدة دجاجة ، وقفزت من بين الفراش هرة . ولكن المعلم فهمي أراد أن يتأكد مما قلت ، فأخذ الميزان وأدناه من المصباح لضعف بصره ، ثم أخذ يقلبه وينظر ، ثم يقلبه وينظر ، حتى مضى على الميزان دقيقتان بجانب المصباح المشتعل ، ثم اهتدى أخيراً إلى الزئبق الصاعد فإذا هو في آخر الطرف الأعلى من الميزان . فقال وهو يرتجف : انظر ! ها هي الدرجة ثلاثاً وأربعين ! فقلت له وأنا أبتسم ابتسامة عريضة : هذه يا صديقي درجة المصباح لا درجة المريضة !

(للحديث بقية)

إبراهيم الورداني